السنيورة كيارا

لاناتول فرانس

ترجمة احمد شكرى طوب صقال

الأستاذ جياكومو تدسكى النابلى ، طبيب معروف فى المدينة ، يسكن ، قرب كنيسة العذراء المتوجة ، منزلا طيب الريح فواحا ، تختلف اليه كل صنوف الناس ، ولاسيما العذارى الفواتن اللاتى يزاولن بيع حصائد البحر فى سانتا لوتشيبا . انه يبيع العقاقير لكل الأمراض ، ولا يستنكف أن يخلع لك سنا ناخرة . وانه يحذق لأم الجراح فى جلود الشاغبين غداة كل مهرجان ، ويعرف ، الى ذلك ، كيف يتكلم لهجة أهل الشمواطىء المطوطة ، ويبث فيها بعض اللاتينية المدرسية ، ليشعر مرضاه الثقة به وهم رقود على ذلك الكرسى الممدود لايضارعه فى طوله وذبذبته وصريره واتساخه كرسى سواه فى أى مرفأ من مرافىء العالم . انه رجل صغير الجرم ، مفعم الوجه ، له عينان صغيرتان خضراوان وأنف يتدلى على فم رقيق الشفتين . أما كتفاه المستديرتان وبطنه الكروى البارز وساقاه الدقيقتان ، فانها تذكرنا بهزيلات العصور المنصرمة .

تزوج جياكومو ، بعد أن اكتهل ، كيارا امامى الشابة ، ابنة رجل قضى فترة من حياته سجينا ، الا أن أهل نابلى أجلوه اجلالا عظيما حينما أصبح خبازا فى حى البرجودى سانتو . فلما مات ، مات مأسوفا عليه منهم جميعا . وأنضجت أشعة الشمس الساطعة التى تكسب أعناب توزى وبرتقال سورنتى لونها الذهبى ، جمال كيارا فزها وازدهر .

وكان الأستاذ جياكومو تدسكى مؤمنا بأن زوجته رزقت من العفة كفاء مارزقت من الجمال . وكان يعلم ، أيضا ، أن عاطفة الغيرة على شرف المرأة تبلغ غايتها فى أسر قطاع الطرق . ولكنه ، بعد ، كان طبيبا ، فأدرك ما قد يساور طبيعة النساء من الاضطراب والضعف ، فشعر بشىء من القلق حينما عكف على زيارة منزله أسكانيو رانيرى الميلانى ، حائك ملابس السيدات بميدان الشهداء . وكان أسكانيو شابا وسيما دائم الابتسام . أما كريمة مامى الخباز الباسل المحب لوطنه ، فقد كانت ، ولاريب ، فتاة نابلية صالحة ، أشرف من أن تنسى واجبها بين يدى رجل ميلانى . غير أن أسكانيو كان يفضل زيارة المنزل القريب من كنيسة العذراء

المتوجة فى غياب صاحبه الطبيب ، وكانت السنيورا تستقبله راضية بغير رفيق أو رقيب .

وفى ذات يوم عاد الطبيب قبل ميعاده ، وفاجأ أسكانيو جاثيا عند قدمى كيارا . فلما رأته السنيورا نهضت وبرحت مكانها تخطو خطوا وئيدا متزنا كأنما هى احدى الآلهة . ونهض أسكانيو قائما على قدميه .

فدنا منه جياكومو تدسكى ، وقد بدت عليه أبلغ أمارات الاهتمام والقلق ، ثم قال :

« أراك مريضا ، ياصديقى . لقد أحسنت بمجيئك الى . فأنا طبيب ، على اسعاف الناس وشفاء أسقامهم . أراك تتألم . لا تنكر ذلك . ان ألمك لشديد . وجهك ملتهب .. لا شك أنه صداع ، صداع حاد . كم أحسنت اذ جئت لأراك ! لابد أنك انتظرتنى حتى عيل صبرك . نعم ، انه صداع فظيع » .

وكان الأستاذ تدسكى ، على الرغم من كبر سنه ، قويا كثور فحل ، فكان يقول ذلك وهو يدفع أسكانيو أمامه الى حجرة الفحص ، ثم أضجعه راغما على ذلك الكرسى الممدود المشهور الذى ظل أربعين عاما يحمل أثقال أمراض نابلى .

وشد عليه بقبضة لا تلين . ثم قال:

« عرفت مابك ، هى سن قاسية ، هى كذلك ! نعم ان ألمك منها لشديد » .

ثم أخرج من صندوق كلبتين كبيرة الحجم لاقتلاع الأسنان ، وفتح فم أسكانيو الواسع قسرا ، وأدخل الكلبتين ، ونزع نزعة واحدة ، فاقتلع بها سنا .

وبينا كان أسكانيو يفيق بالفرار ، ويبصق من فم تسيل منه الدماء ، كان الأستاذ جياكومو تدسكى يصيح خلفه فى شماتة وسرور ، ويقول :

« انها سن جميلة ، سن جميلة جدا ! ... »